Archaeological Inscription
Print ISSN:2974-4016
Online ISSN:2974-4024

تأثير العقيدة الإسلامية في اختيار مضمون النقوش الكتابية علي شواهد القبور الداغستانية بجبانة دربند خلال القرن الثاني عشر الهجري

محمد ناصر إسماعيل

مدرس مساعد الكتابات الآثرية بقسم الآثار الإسلامية– كلية الآثار – جامعة الفيوم

mni11@fayoum.edu.eg

Article information

Received: 12/2022 **Accepted:** 2/2023

Pages: 303-326

Vol: 1 (2023)

DOI: 10.21608/archin.2023.295292

Abstract:

The Islamic faith was the main motivation for the artistic diversity and richness of inscriptions content with decorated emblems on Dagestan tombstones during the thirteenth century AH, which was reflected according to the general political and religious situation in Dagestan.

It was necessary that tombstones manufacture was influenced by the different religious doctrines of the population, which cast a shadow on the nature of written inscriptions, types and their use, especially on tombstones of the deceased`s population. The study of written inscriptions, religious and confessional significance and the reasons for their use is influenced by the course of political and military events of Dagestan, which naturally affected the religious, confessional, social and also artistic aspects.

This study highlights the aspects of the use of recorded written inscriptions and the influence of religious belief and sub-doctrines in choosing the nature and types of writings and their formulas, in addition to studying their religious, doctrinal and symbolic significance, as well as identifying the contents of the religious and recorded written inscriptions and related to the Twelver Shiite imams from martyrdom and supplication to them, and referring to the place of martyrdom of the holy Imams ' shrines in Iran and Iraq.

الملخص:

كانت العقيدة الإسلامية المحرك الأساسي للتنوع والثراء في محتوي النقوش الكتابية والعلامات الزخرفية علي شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثاني عشر الهجري والذي انعكس بطبيعة الموقف السياسي والديني العام في داغستان.

وكان من الضروري أن تتأثر صناعة شواهد القبور باختلاف المذاهب الدينية والتنوع في عقائد السكان، وهو الأمر الذي ألقي بظلاله علي طبيعة ونوعيات النقوش المكتوبة وهيئاتها ودلالة استعمالها خصوصاً علي ألواح شواهد القبور الخاصة بالسكان المتوفين.

وتُعد دراسة النقوش الكتابية والتعرف علي دلالتها الدينية والمذهبية وأسباب استعمالها أمراً هاماً تأثر بمجريات الأحداث السياسية والعسكرية التي جرت أحداثها في إقليم داغستان، والعوامل الناتجة عنها والتي أثرت بطبيعة الحال علي الجوانب الدينية والمذهبية والاجتماعية وأيضاً الفنية.

وتُبرز تلك الدراسة جوانب استعمال النقوش الكتابية التسجيلية وتأثير العقيدة الدينية والمذاهب الفرعية في اختيار طبيعة ونوعيات الكتابات وصيغها بالإضافة إلي دراسة دلالتها الدينية والمذهبية والرمزية، فضلاً عن التعرف علي مضامين النقوش الكتابية الدينية والتسجيلية الخاصة بآئمة الشيعة الإثناعشرية من الاستشهاد بهم والتوسل إليهم، والإشارة إلي موضع الاستشهاد بمراقد الآئمة المقدسة في إيران والعراق.

Keywords:

Tombstones, written inscriptions, Twelver Shiites, Darband, Dagestan

الكلمات المفتاحية:

شـــواهد القبـــور، النقـــوش الكتابيـــة، الشـــيعة الإثناعشرية، دربند، داغستان.

المقدمة:

شهد إقليم داغستان[١] في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي سيطرة الدولة القاجارية والتي حرصت علي امتلاك مقاليد الحكم مرة أخري في الخانيات القوقازية علي الساحل الغربي لبحر قزوين، ومنذ تلك الحقبة ابتدأت سلسلة جديدة من صفحات التاريخ الإسلامي في داغستان المتأثر بتغير في الأحوال التاريخية والحضاري والعسكرية بين روسيا القيصرية[٢] وتركيا العثمانية[٣] وإيران القاجارية[٤] والتي ألقت بظلالها علي سكان الخانيات القوقازية[٥].

وبذلك وجد القاجار أرضاً خصبة لنشر معتقداتهم وثقافتهم في أرض داغستان التي اندمج فيها الموروث الفني مع التأثيرات الوافدة وساهم في تشكيل طراز فني جديداً يحمل مميزات الطرز الإسلامية الإيرانية وبصبغة فارسية والتي تحققت باعتناق المؤسسين المذهب الشيعي الإسماعيلي وحاولوا نشره في أوساط السكان المحليين.

وكان من بين التأثيرات الفارسية الوافدة تصميم المنشآت المعمارية الدينية ورسوم التحف التطبيقية المقلدة لتلك المصنعة في إيران والتي أثرت علي محتوي النقوش الكتابية والتسجيلية علي شواهد القبور. وبذلك نُشير إلي العقيدة الدينية وتأثيرها في تغلغل الثقافة الفارسية والفكر الشيعي علي السكان المحليين في داغستان، تلك العلاقة التي تضرب بجذورها نحو القدم منذ حكم الشاه الصفوي إسماعيل الأول[٦] ثم تعمقت أواصر الترابط في عهد الشاه عباس الأول منذ حملته علي بحر قزوين[٧].

---

[١] **داغستان** كلمة مكونة من مقطعين (Dag) تعني الجبل، (stan) تعني الأرض وهي بذلك تعني أرض الجبال. الجبوري (عاصم): أمانة، (نضال): ***القوقاز التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية***، *مجلة القادسية للعلوم الإنسانية*، المجلد١٩، العدد٤ (٢٠١٦)، ٤١٩.

[٢] **القيصرية:** تعبير دال علي حكم روسيا بعد توسعها في وبلاد القوقاز وآسيا الوسطي، وبعد حين تلقبت باسم روسيا القيصرية منذ فتح القسطنطينية ومع بداية الاستعمار الشيوعي تم تسميتها بالإمبراطورية الروسية. شاكر (محمود)، ***التاريخ الإسلامي: المسلمون في الإمبراطورية الروسية (التاريخ المعاصر)***، بيروت ١٩٩٥، ٥.

[٣] **العثمانية:** نسبة إلي الجد الأكبر عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، وتوالي من بعده سلاطين عظام أشهرهم محمد الفاتح. شاكر (محمود)، ***مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية)***، بيروت ١٩٨٨، ٤٠-٤٤.

[٤] **القاجار**: إحدي القبائل التركية التي سكنت في إيران منذ العصر المغولي، استوطنوا في آذربيجان وبلاد فارس، وصلوا إلي الحكم بعد نهاية الدولة الإفشارية واعتنقوا المذهب الشعي. إقبال (عباس): ***تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية***. تحقيق وتقديم: منصور محمد، مراجعة: السباعي محمد، القاهرة ١٩٨٩، ٧٤١.

[5] N. (Magomedov): *fatali khan's foreign policy activity*, Bulletin of the IAE Institute, **Vol 2 (2017), 33-34.**

[6] M. (Judith): *The Persianization of Koroglu Banditry and Royalty in Three Versions of the Koroglu Destan*, Independent scholar, Chicago, Asian Folklore Studies, vol 60 (2001), 317.

[٧] الأرقط (عبدالحميد): ***أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٨-١٦٢٩م***. رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- قسم العلوم الانسانية، جامعة حمة لخضر ٢٠١٤، ٢٩.

وبين أيدينا عدداً من نماذج شواهد القبور[١] المُسجلة بعبارات شيعية نُقش عليها أسماء المتوفين وألقابهم وعائلاتهم فضلاً عن أسماء بعض الصناع والحرفيين، بالإضافة إلي بعض أسماء آئمة الشيعة الإثناعشرية وتوسلات بأجساد الآئمة والأولياء موضحة مع بعض رسوم الفنون التطبيقة.

أهمية البحث:

يُعالج هذا البحث الأبعاد الدينية والمذهبية المُصاحبة لتسجيل النقوش الشيعية علي شواهد القبور الإسلامية في جبانة مدينة دربند بإقليم داغستان[٢]، والتي تعكس صدي تأثر الجوانب الدينية والمذهبية لسكان المدينة بالعوامل السياسية والنزاعات العسكرية والصراعات الحربية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي[٣].

ولكونها مُعاصرة زمنياً وجغرافياً لكل الحوادث التاريخية التي دارت في محيط إقليم داغستان منذ العصر الصفوي[٤]ثم تباعاً في العصر الإفشاري وصولاً إلي نهاية العصر القاجاري[٥]، امتازت النقوش الكتابية التسجيلية علي شواهد القبور الداغستانية أيضاً بمميزات قلما وُجدت علي شواهد قبور مُماثلة في احتوائها علي نقوش ذات صبغة دينية دلّت علي معتقدات السكان ومذاهبهم الفرعية.

كما رصدت شواهد القبور التغيرات الديموغرافية في عدد السكان وتنقلاتهم الناتجة عن حملات الفرسنة[٦]والتي الفرسنة[٦]والتي قام الإيرانيون في محيط مدينة دربند، وشهدت علي التغير السياسي بين حكام الولايات والخانيات القوقازية الذين حرصوا علي تسجيل مبادئ عقيدتهم ومذاهبهم الدينية علي ألواح شواهد القبور.

التغير الاثنولوجي كان من بين الجوانب التي أثرت كذلك في التعدد اللغوي والثقافي في المجتمع[٧]وتأثرت باتجاهات المذاهب العقائدية بالإضافة إلي مواد صناعة شواهد القبور، والتي شهدت علي الأنشطة الثقافية والحضارية لأهل المنطقة من المحليين، وتأثروا بفعل عمليات تهجير السكان من مناطق في كربلاء إلي التوطين في مدينة دربند كما أشارت نقوش شواهد القبور[٨].

---

[١] كانت تلك من بين نتائج زيارة الباحث الاستكشافية لجبانة مدينة دربند في عام ٢٠٢١م، كل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ وليد خليل علي مساعدته ومرافقته الميدانية في مقبرة المدينة خلال مرحلة الدراسة وتقديم يد العون وتسهيل إجراءات السفر واستخلاص التصاريح اللازمة.

– وقد توصلت الدراسة إلي تصنيف ما يقرب من سبعون شاهد قبر غير مدروس مُسبقاً متنوع الهيئات والطراز العام، وبناءاً علي السمات الشكلية العامة قمت باختيار أهم شواهد القبور وأكثرها ثراءاً في النقوش الكتابية وتنتمي لمتوفين علي المذهب الشيعي.

[٢] أشار العالم الجليل (د. حسن نور) في كتابه حول "شواهد القبور الإسلامية" إلي تصنيف الطرز العامة وهيئات شواهد القبور الإسلامية في العالم، ومن ضمنها أشار في معلومة إلي بعض شواهد القبور المُكتشفة في جبانة مدينة دربند بإقليم داغستان بانتمائها للهيئة المحرابية في تصنيف أنماط شواهد القبور الإسلامية. نور (حسن): ***الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها (دراسة في الشكل والمغزي)***. الطبعة الأولي، الإسكندرية ٢٠١٥، ٤٦.

[3] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City, in Dagestan Region, Southern Russia during the twelfth century AH/ Eighteenth century AD: "A Study of Form and Content."* MA. diss., University of Fayoum, 2022, 265-269.

[٤] هريدي (محمد): ***الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا***، القاهرة ١٩٨٧، ٤٦.

[٥] عناية الله (رحمة الله): ***آذربيجان المسلمة بين روسيا وأرمينيا***، باكو ١٩٩٠، ٩.

[6] Fahad (Bishara) and Nandini (Chatterjee): *Introduction: The Persianate Bazaar,* Journal of the Economic and Social History of the Orient Vol 64 (2021), 487-490.

[٧] بديع (جمعة): الخولي (أحمد): ***تاريخ الصفويين وحضارتهم***، بيروت ١٩٧٦، ٤٦.

[8] Aboelkhier: *Islamic Gravestones*, 265-269.

تُعد شواهد القبور سجل حافل بالنقوش التسجيلية والدينية الهامة[١] والتي تنوعت بين الاقتباسات القرآنية وعبارات طلب الرحمة والمغفرة والتوسل بأسماء الآئمة الإثناعشرية وبجسد وعتبات الأولياء، ويعقبها التدليل علي الأسماء والألقاب وأسماء الصناع أحياناً وتنتهي بتاريخ الوفاة؛ لتكون بذلك شواهد القبور شاهدة علي العصر.

وتُعبر أيضاً عن المكانة الاجتماعية والإمكانات الاقتصادية لأصحاب شواهد القبور التي دان أصحابها بالمذهب الشيعي الإثناعشري. كذلك يُعالج البحث استقراء الجوانب الحضارية والجغرافية لمدينة دربند في العصر الإفشاري والقاجاري من خلال نقوش شواهد القبور والتي ساعدت في استيعاب السكان الوافدين في جغرافية المدينة التي اشتملت علي سكان من كل الأطياف والأجناس وعلي مذاهب مختلفة؛ وهو ما ألقي بظلاله علي تغير الشكل العام فضلاً عن تنوع محتوي النقوش المُسجلة علي شواهد القبور.

تلك المميزات التي جعلت من شواهد القبور الإسلامية في دربند طرازاً فريداً في شكلها ومحتوي نقوشها التسجيلية مُتأثرة بأحوال المجتمع الداغستاني السياسية والتاريخية والجغرافية والدينية والمذهبية، وعبّرت عن فكر السكان المحليين وعقيدتهم. أيضاً أشارت إلي التنوع اللغوي والثقافي في محتوي النقوش الكتابية التي تم تسجيلها بلغات عربية وفارسية وبعدة خطوط تنوعت بين خط الثلث والفارسي (النستعليق).

الدراسة الوصفية:

في تلك الدراسة نعرض بعض نماذج شواهد القبور الشيعية الهامة في جبانة مدينة دربند والتي تعرضنا لها خلال الدراسة الميدانية وقمت بعمل حصر وتصنيف لها حسب التسلسل الزمني لتأريخ شواهد القبور وأوردت بعض الصور من تصوير الباحث؛ وهي كالتالي:

[١] التهامي (عائشة): ***الكتابات العربية علي بعض شواهد وتراكيب القبور العثمانية: شاهدي قبر باسم اميرى لواء وحاج بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة***، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد ١٣ (٢٠٠٥)، ٢٦٥.

الجداول

النص الاصلي	تفريغ النقش الكتابي	قراءة النقش
	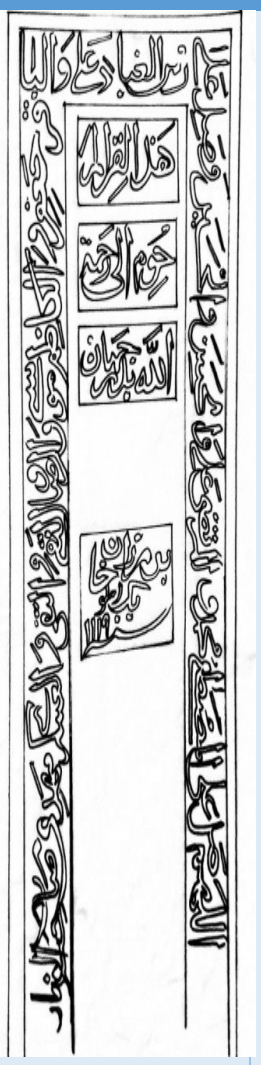	مركز شاهد القبر ١. هذا لقبر المر ٢. حوم إلي رحمة ٣. الله بدر جهان ٤. بن مرزا خان لمو بك سنة ١١١٩ الهامش –اللهَم صَل عَلي المصَطفٰي مُحمد و المرتضي عَلي وَ الحَسَن وَ الحُسَين وَ صَل علىٰ زَين العباد عَلي و البٰاقر جَعفرٍ و الكٰاظِم موسي وَ الرضا و التَقِي و النقي وَ العسكري مَهدِي صَاحبِ العصر و الزمان.

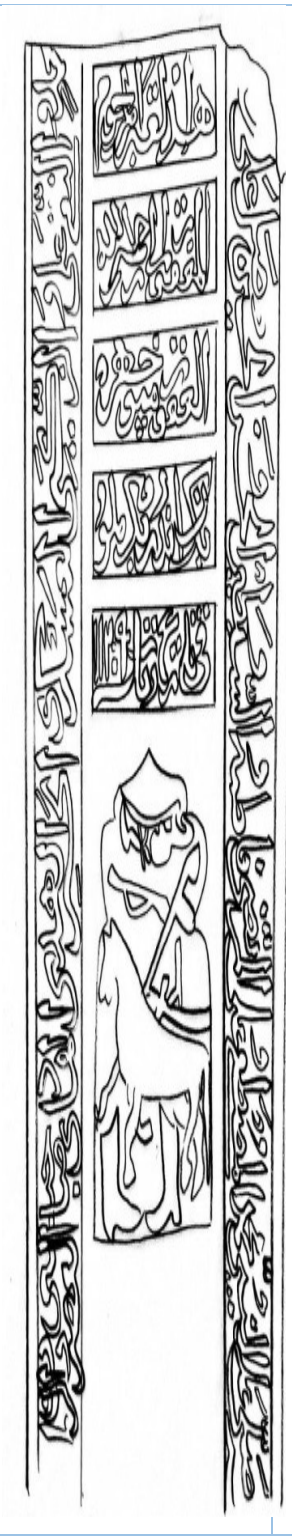

مركز شاهد القبر

١. هذا لقبر المر حوم
٢. المغفور إلي رحمة الله
٣. الغفور مپو خهرْ
٤. بك بن أندروا بك بن لمو بك
٥. في تاريخ وفاته سنة ١١٢٩

الهامش

– اللهم صَلّي عَـلـي النبيَّ محمد المُصطَفي و عَـلـي المرتضي و فاطمة و السّبَطيْن الحسَن و الحسَّين. صل علي [زين العابدين عَـلـي و جعفر الباقر و موسي الكاظم و عليّ الرضا و التقي محمدٍ و النَّقي عَـلـي و الزَّكِي العَسّكري الحَسن الهَدي الهادي صاحبي العصر والزمان.

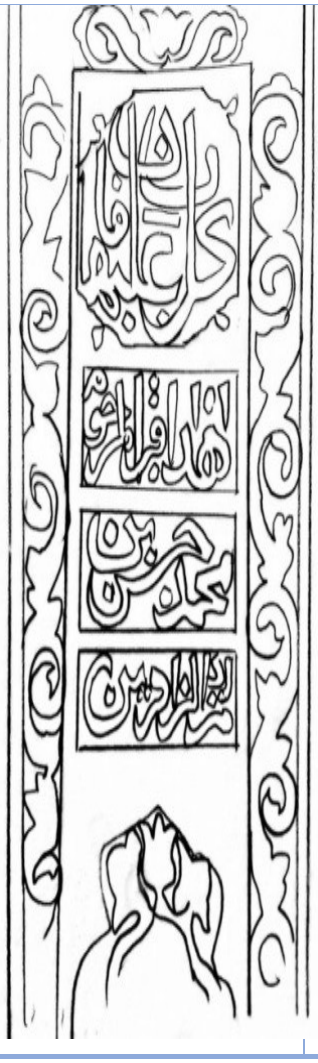

مركز شاهد القبر

١- كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

٢- هذا قبر المرحوم

٣- محمد بن حسن

من الزاهدين ١١٣١-٤

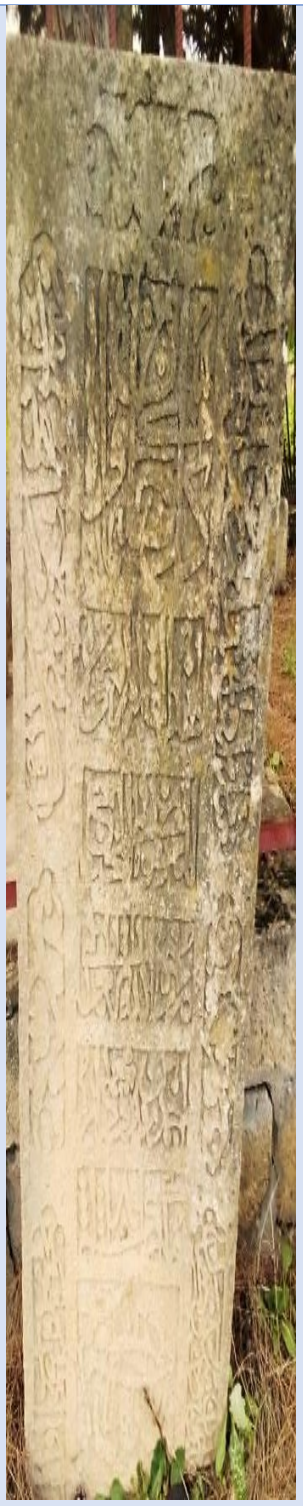

مركز شاهد القبر
١- كل من عليها فان
٢- قربات هذا لمرقد
٣- المرحوم المغفور
٤- المحتاج إلي رحمة
٥- الله تعالي
٦- باب محمد ابن علبقلي
٧- أطاب ثراهما وجعل الجنة مثواهما
٨- في ١١٧٤

الهامش
اللهَم صَل عَلي مُحمّد و المرتضي عَلي وَ البتول فاطمة و السّبطيْن الحسن و الحسين.
- و صلّ علي زين العباد علي و الباقر مُحمّد والصادق جعفر و الكاظم موسي و الرضا علي و التقي مُحمّد و النَّقي عليّ و الزَّكِي العَسّكري الحسن. وصلّي علي حجة الله مُحمّد و المهديّ الهادي صاحبي العصر والزمان.

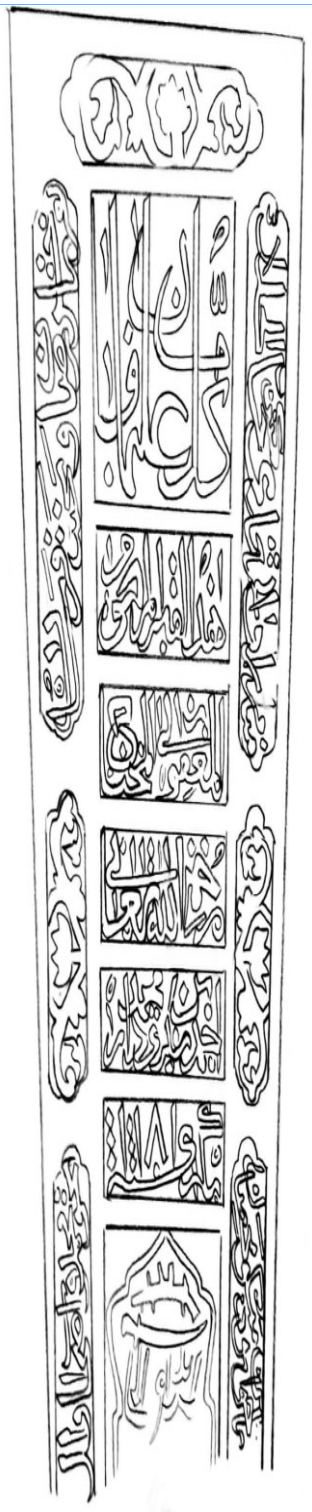

مركز شاهد القبر

١- كل من عليها فان

٢- هذا لقبر المرحوم
٣- إلي المغفور المحتاج
٤- رحمة الله تعالي
٥- أحمد بن محمد بك وداره
٦- بكري سنة ١١٨١

الهامش
بحق محمد وأصحاب
لقربات حسن بن رضا وبجسد قربات
منام أرواءكا ي كنف (كند) حسان الحلال
جوان بو ر مُنكو محِضَان

الدراسة التحليلية:

لم تكن النقوش الكتابية علي ألواح شواهد القبور مُنفذة علي وجه الصدفة بل ساهم في تكوينها وتنوع صيغها الكتابية العقيدة الإسلامية التي كانت المحرك الأول والأساسي لها. ولم يقتصر دور الخط العربي علي الوظيفة الزخرفية فقط، بل أمكن الاستفادة منه كناحية تسجيلية أمدتنا بنوعيات الصيغ الكتابية الواردة علي شواهد القبور والتي تنوعت بين الاقتباسات القرآنية؛ والعبارات الدينية والدعائية؛ وعبارات التوسل بأسماء آئمة الشيعة

الإثناعشرية؛ وعبارات التذلل بعتبات الأولياء وشيوخ الصوفية والنسب للمراقد المقدسة. بالإضافة إلي أسماء المدفونين، وألقابهم، وأنسابهم العائلية.

غير أن تلك المحاور قابلة لتبديل مواضعها أو لتغيير صيغ نقوشها أو تعدد محتواها، وذلك تِباعاً لـ أسلوب النقاش والفترة التاريخية التي عاش فيها، والمساحة المتوفرة علي أسطح شواهد القبور، بالإضافة إلي شكل الطراز العام، بجانب رغبات أهل المتوفي والتي كانت سبباً في تنوع هيئات ومضامين النقوش الكتابية وتبديل مواضعها، وأصبح لها طراز خاص في تأليف النصوص والعبارات الدينية.

علاوةً علي حرص المُتوفين لتسجيل عبارات دينية لما رمزية عند الشيعة الإثناعشرية؛ كتلك التي تدل علي أسماء أوليائهم أو النسب إلي المراقد المقدسة كإعلان صريح عن مذهبهم الديني وعقيدتهم التي سكنوا بها الأرض حتي وفاتهم في مواضع دفنهم.

وفي هذا القسم نتناول تحليل مضمون النقوش الكتابية وتأثير العقيدة الدينية في تنوع محتواها علي قبور دربند في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي؛ وأمكن إجمالها في الآتي:

١. الاقتباسات القرآنية:

في حقيقة الأمر ومن واقع الدراسة الوصفية لنماذج شواهد القبور لم تشهد النقوش الكتابية تطوراً في تسجيل الاقتباسات القرآنية، حيث لم تتضمن في الغالب البسملة كمقدمة استفتاحية للآيات القرآنية كباقي شواهد القبور المعاصرة، ولذا استعاض عنها بذكر عبارات افتتاحية من آيات القرآن الكريم من سورة الرحمن آية ٢٦: ﴿كُلُّ مَن عَلَيهَا فَان﴾[١] لتدل علي أنها جاءت ملائمة للغرض الوظيفي المُستخدمه من أجله، والتى تنص فى مضمونها بأن البقاء لله عزوجل، وأن كل شئ هالك إلا وجهه سبحانه وتعالي، وأن الموت كأس لابد وأن يشربه كل إنسان ولن يبقى على وجه الأرض من أحد.

ولكن يوجد سؤال يطرح نفسه: ما هو السبب وراء قلة اقتباسات القرآن الكريم علي شواهد القبور، وأن المُشار إليه منها لم يكن سوي اقتباسات بسيطة لم تتجاوز حدود سورة الرحمن مجملها ثلاثة نماذج من بين خمسة نماذج من الدراسة الوصفية ؟؟؟

وما هو السبب الحقيقي والدافع الرئيسي خلف قلة مصادر التنويع في آيات القرآن الكريم والعبارات الدالة علي الموت ؟؟؟

وللإجابة علي هذا التساؤل يُمكننا القول بأن قلة النقوش الكتابية من اقتباسات القرآن الكريم والدالة علي الموت والحساب والآخرة راجع إلي عدة أسباب تاريخية، بالإضافة إلي عدة أسباب اجتماعية بجانب الأسباب الثقافية والعسكرية، وهي كالتالي:

- أن الفترة المبكرة من تاريخ داغستان خلال القرن ١٢هـ/١٨م شهدت حروب سجال بين الإفشاريين والروس، مما أثر علي الحالة الحرفية، ونظراً لأن تلك الأحداث دارت رحاها في مدينة دربند. فقد تأثرت الحالة

[١] قرآن كريم: سورة الرحمن، آية ٢٦.

الحرفية والصناعية بالوضع السياسي والعسكري القائم لدي الروس، الذين أبقوا الحالة الصناعية علي ما كانت عليه ولكن تم تقييدها في بعض العبارات الدعائية والاستشهادات القرآنية التي سرت علي مُجمل شواهد القبور كنمط ثابت لا يتغير.

– لجأ الصانعون والمُشتغلون من أهل الطائفة الحرفية إلي اتخاذ نمط مبسط شكلاً ومضموناً من شواهد القبور ليواكب الحالة السياسية والنفير العام الذي دّوي في دربند لسنوات مُتواصلة، وفي نفس الحين لا يفتقد إلي البعد الديني من منظور المسلمين، فتم تصميم بعض العبارات المختصرة من اقتباسات القرآن الكريم لتكون هي الأساس في كل أنماط شواهد القبور.

– أو أن الصناع في تلك الفترة لم يكونوا علي علم بشعائر الدين الإسلامي كافة وغالبيتهم من الوافدين محل السكان الأصليين، فصمموا بعض الاقتباسات القرآنية المختصرة التي تدل علي ارتباطهم الشكلي بالعقيدة الإسلامية، فاختاروا أبسط آيات الموت دلالةً من سورة الرحمن.

– بعض انتهاء المهادنات الحربية بين الروس والفرس، حرص السكان الجُدد والمؤطنون حديثاً في الإقليم من قبل الدولة الإفشارية علي التعبير عن شعائر الدفن الإسلامي باستعمال بعض آيات القرآن الكريم إلي جانب التوسل بأسماء الآئمة الإثناعشر، والتي تدل علي سيطرتهم الجديدة علي الإقليم.

– أو أن السكان الوافدين لم يكونوا صناع محترفين عاملين في الهيئة الحرفية لصناعة شواهد القبور، وبالتالي لجأوا إلي قبور إسلامية قديمة في المنطقة وحاولوا تقليدها في المضمون، فتم تقليد محتواها من سورة الرحمن (لوحة ٣–٤–٥).

– الفترة الأولي من السيطرة الفارسية علي المدينة كانت فترة حروب ممتدة بين الإفشاريين والروس، وبالتالي لم يكن هناك اهتمام علي تصميم شواهد قبور مُنمقة، واكتفوا فقط بتصميم مقلد أو مبسط ليدل علي امتداد نفوذهم الإسلامي مرة أخري في محاولة لإحياء بعض الشعائر الإسلامية للمدينة بعد انقطاعها لسنوات طوال.

٢. العبارات الدينية والدعائية:

تنوعت صيغ تسجيل العبارات الدينية والدعائية بين صيغ طلب الرحمة والمغفرة، وبين صيغ الاحتياج والتوسل إلي الله وإلي رحمته والزهد من الدنيا، وبين صيغ طلب سكن الجنة وتطييب الثري التالي توضيحها:

١/٢ عبارات الرحمة والمغفرة:

تنوعت صيغ تسجيل عبارات الرحمة والمغفرة علي ألواح شواهد القبور لتضم الصيغ التالية:

- المرحوم: كما ظهر في كل شواهد القبور محل الدراسة علي تنوع صيغها بين المذكر والمؤنث.
- المرحوم إلي رحمة الله (لوحة ١).
- المغفور المرحوم إلي رحمة الله الغفور (لوحة ٢).
- المرحوم (لوحة ٣).
- المرحوم المغفور المحتاج إلي رحمة الله تعالي (لوحة ٤–٥).

تعددت صيغ طلب الرحمة والمغفرة الواردة علي شواهد القبور لتشمل عبارات دينية وألقاب اتخذها المتوفي بداية من وضع لحده في التراب وتثبيت اللوح الحجري علي رأسه؛ تنوعت مضامينها بين رجاء طلب الرحمة وغايته في طلب المغفرة، وتعدد المسؤولون القائمون علي اختيار تلك العبارات وتوزيعها بما يُلائم المساحة والشكل العام للوح القبر.

ولم يمنع ذلك من ورود بعض الأخطاء الكتابية في النقوش (لوحة ٢) في كلمة إلي تم كتابتها بصيغة "إل" في الشطب الثاني العلوي، ربما كانت إحدي الأخطاء الكتابية للنقاش الذي أخطأ في تنفيذها، أو تمت كتابتها بناءاً علي النص المَعد سابقاً إليه من قبل الخطاط، أو ربما يشمل احتمالية كونه خطاط مشهور لكن ليس لديه إلمام بقواعد اللغة العربية من حذف بعض مقاطع الحروف ليستقيم بها النص الكتابي ويكون هناك تماثل ومحورية بين عدد الكلمات في الشطب الكتابي الواحد[١].

هذا وتُعتبر صيغ المرحوم والمغفور من أشهر صيغ طلب العفو والغفران من الله ورجاء رحمته وأكثرها وروداً علي شواهد القبور في العالم الإسلامي، حيث كان الحرص علي الدعاء للمُتوفي والترحم عليه من أهم الأمور الدينية الواردة في مضامين شواهد القبور الإسلامية منذ القرن الأول الهجري[٢]. ولكن العبارات الدعائية الواردة في مجمل مضامين نقوش شواهد القبور الداغستانية أكثر تنوع وأشمل في المضامين الكتابية علي غيرها من مناطق العالم الإسلامي الأخري؛ حيث وردت بعض تلك العبارات بصيغة "أسال الله الرحمة لجاره، إلي روحه الفاتحة، سل العفو بعد الفاتحة وغيرها من العبارات[٣].

الغفران:

مادة أصلها غفر من باب ضرب الغفران أي سأله ورجاه، والمغفرة وطلبها إسم من "غفر" وأستغفرت الله؛ أي سألته المغفرة، والغفران الأصل فيه هو الستر والمداراة؛ ويُقال غفر الذنب أي: سترة وأخفاه عن عيون الخلق[٤]. وهذا اللفظ ملائم لطبيعة الموضع الكتابي المُستعمل من أجله علي شواهد القبور وفيه من طلب الستر وغفران الذنب من الله مالا يعمله الخلق، ويُعد أكثر الألفاظ وروداً علي شواهد القبور.

الرحمة:

هي الرقة في الحساب، ويُقال رحُمنا: أي أصابنا شئ من رقته ولينه، ورحمة الله وسعت كل شئ، ومنها المرحمة والرقة والحنان والعطف، وأحياناً تاتي بمعني القرابة والصلة وهي ملائمة للموضع المُنفذة فيه وتعني أن الميت في صلة وحنان وعطف الله إلي يوم يلقاه[٥].

---

[1] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones*, 270.

[٢] خيرالله، (جمال): ***النقوش الكتابية علي شواهد القبور الإسلامية (القاهرة- دهلك- رشيد- إستانبول) "مع معجم للألقاب والوظائف الإسلامية"***، دسوق ٢٠٠٧، ١٠٤.

[٣] خيرالله، (جمال): ***النقوش الكتابية***، ١٠٤.

[٤] المقري (الإمام العلامة أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت.٧٧٠هـ/١٣٦٩م): ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير***، بيروت ١٩٨٧، ١٧١.

[٥] المقري: ***المصباح المنير***، ١٧١.

٣. عبارات التوسل بأسماء آئمة الشيعة الإثناعشرية:

سُجلت صيغ الصلاة علي النبي وآل بيته الكرام والآئمة الاثناعشر عند الشيعة الإسماعيلية بصيغ متعددة علي شواهد القبور، يمكن الإشارة إليها في الصيغ الآتية:

- اللهَم صَل عَلي المصَطفي مُحمد و المرتضي عَلي وَ الحَسَن وَ الحُسَين وَ صَل عليٰ زَين العباد عَلي و البٰاقر جَعفرٍ و الكٰاظِم موسي وَ الرضا و التَقِي و النقي وَ العسكري مَهدِي صَاحبِ العصر و الزمان (لوحة ١).
- اللهم صَلّي عَلـي النبيَّ محمد المُصطَفي و عَلـي المرتضي و فاطمة و السّبَطيْن الحسَن و الحسَّين. صل علي [زين العابدين عَلـي و جعفر الباقر و موسي الكاظم و عليّ الرضا و التقي محمدٍ و النَّقي عَلـي و الزَّكِي العَسّكري الحَسن الهَدي الهادي صاحبي العصر والزمان. (لوحة ٢).
- اللهَم صَل عَلي مُحمّد و المرتضي عَلي وَ البتول فاطمة و السّبطيْن الحسن و الحسين، و صلّ علي زين العباد علي و الباقر مُحمّد والصادق جعفر و الكاظم موسي و الرضا علي و التقي مُحمّد و النَّقي عليّ و الزَّكِي العَسّكري الحسن، وصلي علي حجة الله مُحمّد و المهديّ الهادي صاحبي العصر والزمان (لوحة ٤).
- بحق محمد بأولاد .... [؟] (لوحة ٥).

ومن خلال العرض السابق للعبارات الدينية الخاصة بالتوسل والصلاة علي النبي وآل بيته الكرام والآئمة الإثناعشر عند الشيعة الإسماعيلية يتضح أن شواهد القبور تلك خاصة ببعض المتوفين علي المذهب الشيعي الإسماعيلي في دربند، وهو الأمر الذي يطرح تساؤل هام، هل للمد السياسي والصراع العسكري والحربي بين الأفشاريين والروس آثر في تعدد مضامين النقوش الكتابية علي شواهد القبور ؟؟؟

وقد ساهمت عوامل عدة في تكوين مضامين نقوش شواهد القبور الإسلامية، والتي كان من بينها العومل السياسية وما نتج عنها من صراع عسكري أثر في تغير ديموغرافية السكان وأماكن تواجدهم، بالإضافة إلي تبديل عقائدهم الدينية، وما ارتبط بها من أحوال اجتماعية وظروف معيشية ساهمت في تكوين شعائر السكان الدينية وتقوية أواصر ارتباطهم بعقيدتهم الدينية والمذهبية.

وهو ما لمسنا صداه في التعرف علي محتوي نقوش شواهد القبور الداغستانية، والتي تحتوي علي عبارات مذهبية صريحة خاصة بالشيعة الإثناعشرية، والذين امتد تأثيرهم الديني والعقائدي إلي داغستان في حقبة العصر الصفوي، وثم ازداد آثرها في العصر الأفشاري بعد حملات نادر شاه أفشار[١] علي داغستان لضمها إلي جغرافية إيران[٢] من القيصرية الروسية التي استولت عليها في حملة القيصر بطرس الأكبر ١٧٢٢م[٣].

---

[١] نادر شاه: مؤسس الحكم الأفشاري في إيران، ولد في سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م والمنتمي إلي قبيلة أفشار التركمانية (قرقلو). الجاف (حسن): ***موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلي نهاية الدولة القاجارية***، بيروت، ٢٠٠٨، ٨٧.

[2] *Encyclopedia Britannica*, Nikiforov, L. Alekseyevich. Peter I. Retrieved February 6, 2022 from https://www.britannica.com/biography/Peter-the-Great

[3] M. (Judith): *The Persianization*, 317.

وبعد إعادة توطين السكان المسلمين في الإقليم من قِبل الإفشاريين، حرصوا علي التعبير عن مظاهر الحضارة الإسلامية وتمثيل الشعائر الدينية، مع إعادة إحياء الطرز الفنية الإسلامية وما ارتبط بها من نقوش كتابية دالة علي المذهب الديني للشيعة الإثناعشرية، هذا فيما يخص الدلالات الدينية والمذهبية لطبيعة النقوش الكتابية والصلوات علي الآئمة الإثناعشرية [١].

أما فيما يخص الدلالات الرمزية لطبيعة استعمال هذا النمط من النقوش الكتابية فهو يحمل دلالات دينية ورمزية بالتوسل بالصلوات علي آل بيت النبي الكريم والمصطفي محمد ﷺ، والسيدة فاطمة الزهراء البتول، والخليفة الراشدي الرابع (المرتضي علي بن أبي طالب) ووالد الحسن والحسين (سبطيّ النبي ﷺ)، ثم يمتد النسب الشريف إلي الإمام زين العابدين بن عَلـي، وولده الإمام جعفر الصادق.

بالإضافة إلي ولده الإمام موسي الكاظم، و الإمام عليّ الرضا]، ويظل النسب ممتد إلي الإمام الحسن العسكري، والإمام علي الرضا، والإمام التقي محمد، والإمام النقي علي، والإمام الهادي والمهدي صاحبي العصر والزمان، كإشارة من أتباع الشيعة الإسماعيلية أنهم من نسل الشريف محمد ﷺ، وأن وجودهم علي تلك الأرض شرف لها، ودفنهم فيها ارتواء لها ونبع فيض يوم المشهد العظيم.

وقد ظهرت على عدد كبير من التحف الصفوية الإيرانية عبارات الصلاة على الرسول ﷺ وأئمة المذهب الشيعي وألقابهم من باب التوسل بهم وطلب الشفاعة منهم، هذا ويُطلق على هؤلاء في الفكر الشيعي اسم (المعصومين الأربعة عشر)، ولم تكن البدايات الأولي لاستعمال هذه العبارات منذ العصر الصفوي فقط؛ ولكنها ظهرت قبلها بسنوات علي الفنون التطبيقية التيمورية؛ رغم كونها دولة سُنية المذهب، ولكن انتشارها في العصر الصفوي من المميزات الواضحة للفنون الصفوية[٢].

- علي المرتضى:

المرتضى من بين أهم الألقاب الدينية الخاصة بالإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجه– ومعناه المُتبع رضا الله ومُتبع نهج رسوله[٣]. هو ابن عم رسول ﷺ وزوج ابنته البتول فاطمة الزهراء، هو الخليفة الراشدي الرابع وأول من آمن من الفتيان في اتباع النبي العدنان، واستشهد بمدينة الكوفة (٤٠هـ/ ٦٦١م)، وقبره في مدينة النجف بالعراق[٤].

وورد هذا اللقب أيضاً ضمن ألقاب رجال الدولة من العسكريين والإداريين والمدنيين وهو المسؤول عن المجلس السامي، ويتم اختيار من قبل ولاة الأمر لأنه المراد في اختيار خصوص شئوونهم، وتم إضافة إلي

---

[1] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones*, 269-270.

[٢] خليل (وليد)، ***دراسة ونشر لمجموعة من التحف المعدنية الإيرانية المحفوظة بمتحف قلعة (نارين كالا) بدربند***، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، المجلد ١٣، العدد ٢٦ (٢٠٢٣)، ٧٤٤-٧٤٥.

[٣] شبل (عبيد): ***دراسة الكتابات الأثرية على المعادن الإيرانية في العصرين التيموري والصفوي دراسة أثرية فنية مقارنة***، القاهرة ٢٠١٨، ١٤٨.

[٤] بطروشفسكي (إيليا): ***الإسلام في إيران منذ الهجرة حتي نهاية القرن التاسع الهجري***، **ترجمة: السباعي محمد**، القاهرة ١٩٨٥، ٢١٤.

بعض الألقاب المركبة كلقب "مرتضي الدولة" و"مرتضي الملوك والسلاطين" كضمن ألقاب الكتاب في العصر الإسلامي[١].

-فاطمة البتول:

البتول في اللغة تعني السيدة العذراء عن الزواج، وقيل أيضاً هي المنقطعة إلى عبادة الله – عزوجل–[٢]. ورد اللفظ في القرآن الكريم بصيغة {واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا}[٣]. وقد أطلق هذا اللقبعلي السيدة البتول فاطمة الزهراء والسيدة العذراء مريم[٤].

-السبطين الحسن والحسين:

السبط في اللغة يعني الحفيد؛ والسبطين هو لقب مُشترك خاص بحفيدّي النبي الإمامين الحسن والحسين؛ أبناء الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء وهما الآئمة الثاني والثالث عند الشيعة الإثناعشرية؛ ويلقبوا بسيدا شباب أهل الجنة رضوان الله عليهم أجمعين. وأحياناً يُلقب كل منهما بلقب سبطيّ النبي، ويُنادي والدهم الإمام علي بلقب أبو السبطين[٥].

-زين العباد علي:

الزين في اللغة هو علي نقيض الشئ، هذا وقد دخل هذا اللفظ في تكوين العديد من الألقاب المركبة والمضافة، مثل "زين العباد" و "زين العابدين" وهو الإمام الرابع عند آئمة الشيعة الإثناعشرية. يُعد هذا اللقب الفخري من بين الألقاب الدالة علي الصلاح والتقوي والزهد من الدنيا، وقد أُطلق هذا اللقب علي مسمي الإمام "علي بن الحسين" بن الإمام علي بن أبي طالب[٦]. وقد ورد هذا اللقب في كتب الشيعة علي الإمام علي بن الحسين لكثرة عباداته، وقد ورد هذا اللقب بصيغ أخري مثل "زين العابدين" ضمن العبارات الشيعية الخاصة بأئمة الشيعة[٧].

-الباقر محمد:

الإمام الخامس من أئمة الشيعة الاثناعشرية، وهو "محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب". لفظ الباقر مشتق من بقر، بمعني شق، حيث تبحر في كل فروع العلوم، كانت أمه "فاطمة أم عبدالله" ابنه الإمام الحسن" من نسل أحفاد النبي "السبطين"؛ الحسن والحسين[٨]. وُلد في المدينة إبان محاولات الإمام "معاوية بن

---

[١] الباشا (حسن): ***الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار***، القاهرة ١٩٨٩، ٤٦٨.

[٢] المناوي (محمد بن عبدالرؤوف علي بن زين العابدين ت. ١٠٣١م/١٦٢٢م): ***اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب***، تحقيق: عبداللطيف هاشم، القاهرة ٢٠١١، ٨٥.

[٣] القرآن الكريم: سورة المزمل، الآية ٣٣.

[4] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones*, 271.

[٥] المازندراني (محمد): ***معالي السبطين في أحوال أهل الحسن والحسين "صلوات الله وسلامه عليهم***، قم– إيران ١٩٤٧، ٨–٩.

[٦] الباشا (حسن): ***الألقاب الإسلامية***، ٣١٣.

[٧] المنصور (القاضي محمد سليمان سلمان فوري ت. ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، ***رحمة للعالمين***، ترجمة: سمير إبراهيم، الرياض ١٩٩٨، ٧٥.

[8] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones*, 279.

سفيان" من التخلص من أخيه "يزيد"، انتمي روحياً إلي مدينة كربلاء التي انتمي إليها كل آئمة الشيعة الإثناعشرية، توفي سنة (١١٤هـ/ ٦٧٦م)، ودفن في البقيع[١].

- الصادق جعفر:

هو الإمام السادس من أئمة الشيعة الاثناعشرية، يُعرف بالإمام "جعفر الصادق" بن الإمام محمد الباقر، سمي مذهبه بالمذهب الجعفري نسبةً إلي اسمه[٢]؛ وهو المذهب الرسمي للشيعة في إيران، منذ قيام الدولة الصفوية في القرن العاشر الهجري، حتي يومنا هذا. وإليه تنتهي مدارس العلوم الدينية والفقهية عند الشيعة، وقد توفي في المدينة المنورة عام (١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، حتي نهاية عمره ووفاته في البقيع[٣].

- الكاظم موسي:

هو لقب الإمام موسى الإمام السابع عند الشيعة الإثناعشرية، بن الإمام جعفر الصادق[٤]، المولود في المدينة المنورة، وقد اعترفت به عموم آئمة الشيعة الاثناعشرية كإمام سابع لهم؛ في الوقت الذي كان فيه أخيه إسماعيل مؤسسًا للشيعة الإسماعيلية، كما يُنسب إليه إمامتها واستمرار سلالته في تصنيف آئمة الشيعة في الوقت اللاحق، توفي الإمام الكاظم في العراق، ودفن في منطقة الكاظمية؛ نسبة إليه[٥].

- الرضا محمد:

الإمام علي بن موسى ولقبه "الرضا أو الرضي" هو لقب الإمام الثامن من آئمة الشيعة الاثناعشرية، عينه وليًا للعهد في عصر الخليفة العباسي المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد، اتخذ لقب الرضا في سنة (٢٠١هـ/ ٨١٦م)، وضرب اسمه على السكة إلي جوار الخليفة المأمون، وتوفى سنة (٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، ودفن في مدينة مشهد؛ التي سُميت فيما بعد نسبةً إلى موضع دفنه (مشهد، أي: مدفن) علي الرضا[٦].

- التقي محمد:

التقي هو الشخص الورع الذي يخاف الله من الوقوع في المحارم، وهو لقب خاص بالإمام التاسع من آئمة الشيعة الإثناعشرية ويُسمي "محمد بن علي الرضا"، ولد في المدينة، ثم انتقل إلى بغداد بعد فترة من الزمن. ظل في تنقل مُستمر حتي انتقاله إلي موضع دفنه في الكاظمية علي مكان إقامته، الذي توفي فيها عن عمر خمسة وعشرين عامًا، مثل: جده موسى الكاظم[٧].

---

[١] كوربان (هنري): ***الشيعة الإثنا عشرية في الإسلام الإيراني "جوانب روحية وفلسفية"***، ترجمة: زوقان قرقوط، القاهرة ١٩٩٣، ٨.

[٢] خليل (وليد)، ***دراسة ونشر لمجموعة من التحف المعدنية***، ٧٤٥.

[٣] المنصور: ***رحمة للعالمين***، ٧٥.

[٤] الباشا (حسن): ***الألقاب الإسلامية***، ٤٣٤.

[٥] علي (موسي): ***الإمام موسى الكاظم "عليه السلام" سيرة وتاريخ***، قم ٢٠٢١، ٥٦.

[٦] القرشي (باقر): ***حياة الإمام الرضا***، قم ١٩٩٥، ٩- ١١.

[٧] كوربان (هنري): ***الشيعة الإثنا عشرية***، ٨٤.

-النقي علي:

هو لقب الإمام العاشر من ألقاب آئمة الشيعة الإثناعشرية، ويُسمي "علي بن محمد التقي"، ولد أيضاً في المدينة المنورة، تم سجنه من قبل الخليفة العباسي "المتوكل علي الله" لمدة عشرين عاما، وتوفي بالسجن عام (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، عن عمر يناهز أربعين عاماً وبعد ذلك تم دفنه في مدينة سامراء[١].

-العسكري:

هو لقب الإمام الحادي عشر من ألقاب آئمة الشيعة الإثناعشرية، وُلد في المدينة المنورة عام (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، ويُسمي "حسن بن علي النقي"، ولقبه العسكري مُشتق من لقب النسبة إلي مدينة سامراء التي أُطلق عليها مُسمي مدينة "العسكر"، والتي أقام بها فترة من عمره، حتي وفاته في سامراء عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)[٢].

-المصطفي:

هو آخر الأنبياء "محمد بن عبدالله" يُطلق عليه خاتم النبيين والمرسلين، نزل عليه القرآن الكريم وتم تدوينه بواسطه أصحابه بعد وفاته. هو صاحب الشفاعة يوم الحشر والعرض علي الله – عزوجل-. سُمي بالمصطفي لآن الله اصطفاه من بين خلقه علي سائر البشر، وتلقب بألقاب أخري من النبي، الرسول، المصطفي، خاتم النبيين والمرسلين[٣].

٤. عبارات التوسل بالعتبات المقدسة:

كذلك حرص المتوفين وذويهم علي اتباع الآئمة والإشارة إلي مواضع العتبات المقدسة والإشادة باتباع المذهب الديني الإسماعيلي، وتمثيل بعض العبارات الدينية والتي تُوحي بالتبرك بقبور الآئمة الإثناعشرية والارتباط المكاني بعتبات المراقد المقدسة عند الشيعة من خلال بعض العبارات الدينية الواردة في النقوش الكتابية السابقة.

ومن واقع الدراسة الميدانية لجبانة مدينة دربند وُجدت نماذج مُجسمة لزخارف معمارية علي ألواح شواهد القبور مُشكلة علي هيئة رسوم العناصر المعمارية والكتل الزخرفية المشهورة في إيران وأردبيل. وتُشير من الوهلة الأولي إلي عمق الاتصال الحضاري والثقافي والديني بين داغستان وإيران المنتشر في الإقليم منذ القدم[٤]، وازداد

---

[١] كوربان (هنري): ***الشيعة الإثنا عشرية***، ٨٥.

[٢] كوربان (هنري): ***الشيعة الإثنا عشرية***، ٨٧.

[٣] الكرماني (حجة العراقين أحمد حميد الدين ت. ٤١١هـ/١٠١٤م): ***مجموعة رسائل الكرماني***، تحقيق: مصطفي غالب، القاهرة ١٩٩٦، ١١٤.

[٤] نُشرت بعض تفاصيل شواهد القبور الإسلامية في الروضة المقدسة بمدينة قم بإيران بواسطة "تناولي": سنگ قبر"، ولكنها ى تتصل اتصالاً مباشراً بشواهد القبور في داغستان إلا من خلال البعد الثقافي والديني، وأن شواهد القبور تلك كانت من ضمن كتاب أعده "برويز تناولي" عن شواهد القبور في إيران، ولكن معلوماتها ضيئلة وتقتصر علي بيانات التسجيل ومادة الصناعة ولم تتجاوز الدراسة التحليلية المقارنة مع نطاق أخري كانت تحت النفوذ الشيعي مثل إقليم داغستان. تناولي (برويز): ***سنگ قبر. انتشارات بن گاه***، طهران ٢٠٠٩، ١١٧-١١٩

في المنطقة منذ العصر الصفوي[١]، وترتب علي تلك الحملات العسكرية تغيرات ثقافية ودينية ولغوية وديموغرافية في أعداد وطباع السكان وأعدادهم ومذاهبهم الدينية والفرعية.

هذا وقد ضمت شواهد القبور تصاميم تعبر عن قباب أولياء الصوفية والعتبات المقدسة في إيران؛ تم التأكيد عليها ببعض رسوم العناصر المعمارية المؤرخة للقرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، بالإضافة إلي بعض العبارات التسجيلية بأسماء آئمة الشيعة الإثناعشرية والتوسل بقبورهم وأجسادهم؛ كما يتضح في العبارات التالية:

-باب (لوحة ٤).

-قربات؛ لقربات؛ بجسد قربات (لوحة ٤-٥).

-لمرقد (لوحة ٤).

-بحق محمد (لوحة ٥).

باب:

الباب أو البابا أو البابه هو الشخص الغاية في التقديس. حيث أورد القائد تقي الدين بن ناظر الجيش "في كتابه التثقيف" رواياته حول الرسائل المُرسلة إلي بابا روما "رومية" مخاطبته علي النحو التالي " الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية، عظيم الملة المسيحية، قدوة الطوائف العيسيوية، مملك ملوك النصرانية، حافظ البحار والخلجان، ملاذ البطاركة والأساقفة والقسوس والرهبان، تالي الإنجيل، معرف طائفته التحريم والتحليل، صديق الملوك والسلاطين[٢].

ومن خلال العرض السابق في العصر المملوكي نستطيع القول أن لقب الباب وُجد في كل الملل والعقائد الدينية، عند المسلمين الشيعة، وعند الروم النصاري؛ فإن كان يُشير إلي باب الغيبة عند الشيعة وظهور الإمام المهدي المُنتظر، فعند النصاري أشار إلي رئيس الطوائف الدينية، الشخص غاية في التعليم الديني، الشخص المهال بالتقديس والعليم بأمر الروح الخاشع المتذلل لله، قارئ الإنجيل وصاحب أقاويل التحريم والتحليل.

مرقد:

في اللغة يعني نام، والجمع رقوداً ورُقد ومراقد. والنائم هو الشخص الراقد، وأرقده أي أقامه في موضعه ودفنه. والمرقد هو مكان إقامة الشخص المتوفي أو موضع دفنه، ومنه الرقدة وهي النومة، والرقاد هو النوم الطويل[٣]. استعمل هذا اللفظ للدلالة علي موضع الشخص المتوفي ومحل دفنه، وأصبح من أكثر الكلمات الشائعة الانتشار علي شواهد القبور بجانب لفظ قبر، وهو مدفن الشخص الميت ويُقال له قبراً ومقبرة وجمعه مقابر[٤].

---

[1] *Encyclopaedia of Islam*, Savory, R.M. & Gandjeï, T. (2012). Ismāʿīl I. Second Edition. P. Bearman, et. Editors. Retrieved online on 08 February 2022 http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_0389

[٢] الباشا (حسن): ***الألقاب الإسلامية***، ٣٢٠.

[٣] معلوف (لويس): ***المنجد في اللغة والأدب والعلوم***، بيروت ١٩٥٦، ٢٧٤.

[٤] معلوف (لويس): ***المنجد في اللغة***، ٦٠٤.

قربات:

مفردها قربة وهي المكان والموضع والمنزلة، وهي ما يتقرب به العبد إلي ربه عزوجل من أفعال البر والطاعة، وهي ألفاظ دالة علي موضع الدفن الخاص بالمتوفين، واستعمل لفظ القرب كدليل علي أن الله قريب من المتوفين وعفو عنهم، وهي أيضاً تُشير إلي موضع التقرب من الله بصالح الأعمال والطاعات قبل الوفاة[١]. وأحياناً ورد اللفظ بصيغ أخري مُتعددة مثل "قربات، لقربات، بجسد قربات" إشارة إلي موضع تقرب الشخص المتوفي إلي مدافن الأولياء وآئمة الشيعة وتقربهم منهم بالعمل.

لقد اعتبر بعض المتوفين ومن علي قيد الحياة (ذويهم وخطاطيّ الحرفيين) أن التبرك بعتبات الأولياء من القربات التي تتقدم لصالح الآئمة، ووصفوا من ينسب نفسه إلي عتبات أحد الآئمة المقدسة، أو يتبرك بقبره، أو يدعو بعلو قدره، أو يُناجي الله من خلال جسده الله من الأعمال المُنزهه التي تؤكد الاعتقاد عند الشيعة الإسماعيلية، وأن الدافع من هذا التبرك بجسد الأنبياء أو الآئمة أو تذكرهم في الدعاء هو الحب التام، وصدق اليقين فيهم، بالإضافة إلي حسن تبجيلهم واحترامهم لنسبهم الشريف ولكل ما يمتّ للنبي بأي صلة[٢].

ولهذا المحور من الدراسة أهمية كبري، ليس لكثرة التحف الفنية أو شواهد القبور المُشكلة علي غرار الطراز المعماري والفني للعتبات المقدسة المُنتشرة في أرض إيران والعراق وبلاد القوقاز المنتمية لها عقائدياً وتتبع نفس الثقافة والموروث الحضاري. حيث كانت تلك العناصر المعمارية علي شواهد القبور عبارة عن مجسم مصغر لتلك المباني الشيعية التي تُشير إلي عتبات الأولياء، فتبدو وكأنها مُجسمات فنية مُصغرة لمنشآت معمارية متكاملة مثل القباب والهياكل البنائية الدالة علي مواضع إشارات دفن آئمة الشيعة الإثناعشرية.

ولأن مكانة العراق وإيران المقدسة عند أتباع الشيعة الإمامية افترضت وجود تلك النوعيات من قبور الآئمة والمزارات والعتبات المقدسة لتكون بديلاً لهم عن الحج إلي بيت الله الحرام[٣] في كربلاء والنجف وقم ومشهد، والتي خُصصت لزيارة قوافل الحجاج الإيرانيين والفرس الراغبين في الحج إلي مواضع الأماكن المقدسة[٤]حيث كانت تتعرض قوافل الحج لهجمات مُتكررة من القبائل التركمانية في المنطقة بين إيران والعراق، لذا كان ضم العراق للدولة الصفوية مطلبا شيعياً لا يُمكن التخلي عنه[٥]، وهو ما أثر في انتشار مثل تلك العناصر المعمارية وتمثيلها علي شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

ولكل من العناصر المعمارية بدن مستطيل عبارة عن عمود يعلوه قبه بصلية وأعلاها رمز الديك، وإلي جوانب القبة الضريحية يوجد زوج من الأبراج المستطيلة أو المآذن الإسلامية كتلك المُنتشرة في إيران ويعلوها قباب نصف بصلية، وفي أسفل تلك القباب الضريحية عبارة عن درجات متدرجة تمثل إشارة لبعض درجات المراقد الخاصة بعتبات الآئمة. ومن الواضح أن تلك القباب من صناعة إيرانية، ربما كإشارة إلي أن شيخ الطائفة الحرفية علي

---

[١] معلوف (لويس): ***المنجد في اللغة***، ٦١٧.

[2] Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones*, 285.

[3] Fatuh (Allahayev): Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, Baku, 2013, 4-10. (Azerbaijan).

[٤] الأرقط (عبدالحميد): ***أوضاع الدولة الصفوية***، ٢٩.

[٥] البدليسي (شرف خان): ***شرف نامة***، القاهرة ١٩٥٨، ٣١٦.

المذهب الإثناعشري، أو ربما دلت علي الموروث الحرفي الخاص به وحرص علي تسجيله علي شواهد القبور، أو غالباً ارتبط بعقيدة الشخص المتوفي والذي اعتنق الموروث الفارسي **(لوحة ٦-٧)**.

ومن غير المعتاد طريقة التغطية الخاصة بالعمارة الإيرانية وهي غير مألوفة في أنواع التغطيات التي شاعت في إيران إبان الفترة التاريخية المعاصرة، والتي اتخذت هيئة الشكل المخروطي أو البصلي المكون من طبقتين، وهي بذلك مشابهة لطريقة تغطية القباب الجنائزية الشائعة في إيران مثل قبة بالشيخ صفي[1].

لوحة (٦)
نحت مماثل آخر للقباب الضريحية يعلو العتبات نافذة مثلثة الشكل.
تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

لوحة (٧)
مجسم مصغر علي غرار العتبات المقدسة الإيرانية في كربلاء وقم. تصوير الباحث، مقبرة دربند نوفمبر ٢٠٢١.

لوحة (٨) قبة مسجد الشاه في ميدان الشاه بأصفهان.
Fatuh (Allahayev): Development of Urban, 61.

لوحة (٩) مآذن بوابة مدينة طهران في العصر القاجاري.
Fatuh (Allahayev): Development of Urban, 40.

[1] Fatuh (Allahayev): Development of Urban, 40-44,61.

والحق يُقال في العلاقة الواضحة بين الشكل العام وهيئة التغطية في عمارة القباب الضريحية علي أسطح شواهد القبور بما يُعبر عن المغزي الديني والمذهبي لسكان المدينة وانتمائهم الروحي لإيران، وتمثل ذلك في نمط القباب الضريحية والعتبات المقدسة الملحقة بالمنشآت الصفوية كما اتضح في مسجد الشاه وضريح الشيخ صفي في أصفهان.

وبذلك تُعد شواهد القبور الإسلامية في دربند مُتأثرة بطرز العمارة الصفوية في مشهد، ويزد، وأصفهان وغيرها من المدن التي تشهد بانتشار الثقافة الفارسية في تصميم العتبات المقدسة والمآذن المُلحقة بها. وهو الأمر الذي أثبت إمكانية قيام بعض الفنانين الإيرانيين الذين تواجدوا في دربند بتشكيل العناصر الزخرفية علي شواهد القبور علي غرار العناصر المعمارية المعاصرة المنتشرة في إيران آنذاك.

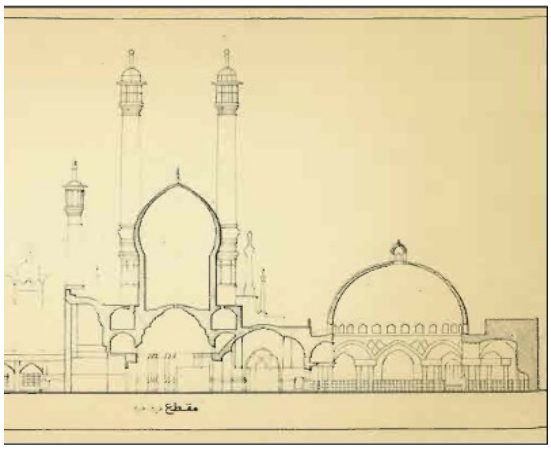

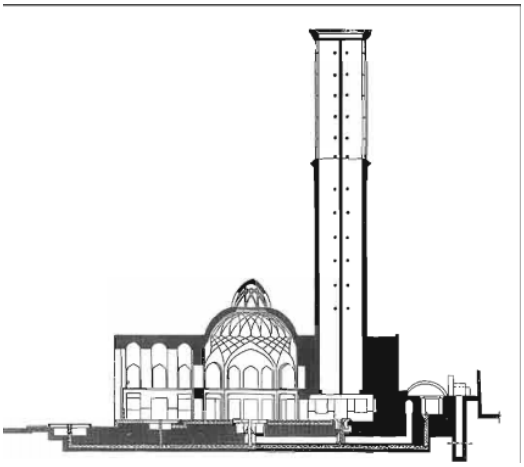

(شكل ١) مقطع رأسي لقبة الشيخ صفي في أصفهان. **(شكل ٢)** مقطع رأسي لمئذنة المسجد الجامع في مدينة يزد

Fatuh (Allahayev): Development of Urban, 128.

Fatuh (Allahayev): Development of Urban, 205.

النتائج

توصل البحث لنشر تفاصيل جديدة حول تأثير العقيدة الدينية في صياغة مضمون النقوش الكتابية علي شواهد القبور الإسلامية التي تنوعت بين العبارات الدينية والدعائية والاقتباسات القرآنية وأسماء الآئمة الإثناعشرية وأدعية بالتوسل بالعتبات المقدسة لدي الأولياء. كما يُفصل البحث دراسة البعد الديني والمذهبي لاستعمال مُجسمات القباب الضريحية للمراقد المقدسة المنتشرة في العمارة الإيرانية علي شواهد القبور الإسلامية، ودراسة صدي انتشار العمال والصناع الفرس في إيران في نقل عوامل التأثيرات الحضارية إلي داغستان وبيان أثر تغلغل الروابط الفنية والثقافية في أوساط المجتمع الداغستاني.

الخاتمة

يُعالج هذا البحث الجوانب الدينية لتصميم هيئات العتبات المقدسة واختيار العبارات الدينية في محتوي شواهد القبور، بالإضافة إلي دراسة أبعاد استعمال النقوش الكتابية الشيعية وصيغ تسجيلها، والتي تعكس التحول الديني والمذهبي لسكان المدينة وتبرز الدور السياسي المؤثر علي التغير الاثنولوجي في عادات وتقاليد السكان.

ترصد شواهد القبور التغيرات الديموغرافية في أعداد السكان وأسماء عائلاتهم وتنقلاتهم، والتي تشهد علي الأنشطة الثقافية لأهل المنطقة من المحليين، وتأثروا بعمليات التهجير من مناطق في كربلاء إلي التوطين في مدينة دربند. يُساهم البحث كذلك في إثراء دور النقوش الكتابية الشيعية والتطلع علي سجل محتواها المتنوع بين الاقتباسات القرآنية وعبارات طلب الرحمة والمغفرة والتوسل بأسماء الآئمة الإثناعشرية وبجسد وعتبات الأولياء.

كذلك يُحاول البحث استقراء محاولة استيعاب السكان الجدد في مدينة دربند من خلال نقوش شواهد القبور الشيعية التي بّينت توطين بعض السكان الإيرانيين في محيط المدينة، وهو ما ألقي بظلاله علي تنوع محتوي النقوش المُسجلة علي شواهد القبور التي احتوت علي نصوص تذكارية ودينية ومذهبية تُلائم عقيدة وثقافة السكان الجدد. تلك المميزات جعلت من شواهد القبور الداغستانية مثيل نظائرها بإيران الخاضعة للحكم القاجاري في محتوي نقوشها التسجيلية التي عكست أحوال المجتمع السياسية والتاريخية والجغرافية والدينية والمذهبية، وعبّرت عن فكر السكان المحليين وعقيدتهم.

المراجع:

قرآن كريم

المراجع العربية

– المقري (الإمام العلامة أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت.٧٧٠هـ/١٣٦٩م): *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، بيروت ١٩٨٧.

– المناوي (محمد بن عبدالرؤوف علي بن زين العابدين ت. ١٠٣١م/١٦٢٢م): *اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب*، تحقيق: عبداللطيف هاشم، القاهرة ٢٠١١.

– المنصور (القاضي محمد سليمان سلمان فوري ت. ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، *رحمة للعالمين*، ترجمة: سمير إبراهيم، الرياض ١٩٩٨.

– المازندراني (محمد): *معالي السبطين في أحوال أهل الحسن والحسين "صلوات الله وسلامه عليهم*، قم– إيران ١٩٤٧.

– الكرماني (حجة العراقين أحمد حميد الدين ت. ٤١١هـ/١٠١٤م): مجموعة رسائل الكرماني، تحقيق: مصطفي غالب، القاهرة ١٩٩٦.

– الأرقط (عبدالحميد): *أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٨-١٦٢٩م*. رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية– قسم العلوم الانسانية، جامعة حمة لخضر ٢٠١٤.

– إقبال (عباس): *تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية*. تحقيق وتقديم: منصور محمد، مراجعة: السباعي محمد، القاهرة ١٩٨٩.

– الباشا (حسن): *الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار*، القاهرة ١٩٨٩.

– البدليسي (شرف خان): *شرف نامة*، القاهرة ١٩٥٨.

– بديع (جمعة): الخولي (أحمد): *تاريخ الصفويين وحضارتهم*، بيروت ١٩٧٦.

– بطروشفسكي (إيليا): *الإسلام في إيران منذ الهجرة حتي نهاية القرن التاسع الهجري*، ترجمة: السباعي محمد، القاهرة ١٩٨٥.

– تناولي (برويز): *سنگ قبر. انتشارات بن گاه*، طهران ٢٠٠٩. (فارسي).

– التهامي (عائشة): *الكتابات العربية علي بعض شواهد وتراكيب القبور العثمانية: شاهدي قبر باسم اميرى لواء وحاج بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة*، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد ١٣ (٢٠٠٥).

– الجاف (حسن): *موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلي نهاية الدولة القاجارية*، بيروت، ٢٠٠٨.

– الجبوري (عاصم): أمانة، (نضال): القوقاز التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية، *مجلة القادسية للعلوم الإنسانية*، المجلد١٩، العدد٤ (٢٠١٦).

– خليل (وليد)، *دراسة ونشر لمجموعة من التحف المعدنية الإيرانية المحفوظة بمتحف قلعة (نارين كالا)* بدربند، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، المجلد ١٣، العدد ٢٦ (٢٠٢٣).

– خيرالله، (جمال): *النقوش الكتابية علي شواهد القبور الإسلامية (القاهرة– دهلك– رشيد– إستانبول) "مع معجم للألقاب والوظائف الإسلامية"*، دسوق ٢٠٠٧.

– شاكر (محمود)، *التاريخ الإسلامي: المسلمون في الإمبراطورية الروسية (التاريخ المعاصر)*، بيروت ١٩٩٥، ٥.

– شاكر (محمود)، *مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية)*، بيروت ١٩٨٨.

– شبل (عبيد): *دراسة الكتابات الأثرية على المعادن الإيرانية في العصرين التيمورى والصفوي دراسة أثرية فنية مقارنة*، القاهرة ٢٠١٨.

– علي (موسي): *الإمام موسى الكاظم "عليه السلام" سيرة وتاريخ*، قم ٢٠٢١.

– عناية الله (رحمة الله): *آذربيجان المسلمة بين روسيا وأرمينيا*، باكو ١٩٩٠.

– القرشي (باقر): *حياة الإمام الرضا*، قم ١٩٩٥.

– كوربان (هنري): *الشيعة الإثنا عشرية في الإسلام الإيراني "جوانب روحية وفلسفية"*، ترجمة: زوقان قرقوط، القاهرة ١٩٩٣.

– معلوف (لويس): *المنجد في اللغة والأدب والعلوم*، بيروت ١٩٥٦.

– نور (حسن): *الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها (دراسة في الشكل والمغزي)*. الطبعة الأولي، الإسكندرية ٢٠١٥.

– هريدي (محمد): *الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا*، القاهرة ١٩٨٧.

المراجع الأجنبية:

1. Aboelkhier, (Muhammad): *Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City, in Dagestan Region, Southern Russia during the twelfth century AH/ Eighteenth century AD: "A Study of Form and Content."* MA. diss., University of Fayoum, 2022.

2. *Encyclopaedia of Islam*, Savory, R.M. & Gandjeï, T. (2012). Ismāʿīl I. Second Edition. P. Bearman, et. Editors. Retrieved online on 08 February 2022 http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_0389

3. *Encyclopedia Britannica*, Nikiforov, L. Alekseyevich. Peter I. Retrieved February 6, 2022 from https://www.britannica.com/biography/Peter-the-Great

4. Fahad (Bishara) and Nandini (Chatterjee): *Introduction: The Persianate Bazaar,* Journal of the Economic and Social History of the Orient Vol 64 (2021).

5. Fatuh (Allahayev): Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, Baku, 2013. (Azerbaijan).

6. M. (Judith): *The Persianization of Koroglu Banditry and Royalty in Three Versions of the Koroglu Destan*, Independent scholar, Chicago, Asian Folklore Studies, vol 60 (2001).

7. N. (Magomedov): *fatali khan's foreign policy activity*, Bulletin of the IAE Institute, Vol 2 (2017).